(البعد التجديدي في أصول الفقه في طرح محمد إقبال–باب الاجتهاد أنموذجا–)

(The Regenerative Dimension in the Fundamentales of Jurisprudence in the Proposal of Muhammad Iqbal - the Chapter of Ijtihad as an Example.)

العيدلي حمزة[1]

laidli.hamza@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: ../../2024تاريخ القبول: ../../2024تاريخ النشر: ../../2024

ملخص المقال: (7أسطر على الأكثر)

يحاول الباحث في هذه المداخلة البحثية تسليط الضوء على معالم التجديد للفكر الديني الإسلامي الذي نادى به محمد إقبال في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، وذلك بتناول زاوية من زوايا هذا التجديد، وهي دعوته إلى تجديد الجانب الأصولي والتشريعي من أدبيات الفكر الديني، ممثلا في باب من أبواب أصول الفقه ألا وهو باب الاجتهاد، حيث إن إقبالا يعتبر من حاملي لواء التجديد في مطلع القرن المنصرم، وقد شملت دعوته التجديدية عدة نواحي: فكرية وثقافية وفلسفية وأخلاقية، وأخرى فقهية تشريعية، فأراد الباحث من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على الرؤية التجديدية التي دعا إليها إقبال في هذا الجانب الأصولي التشريعي، وإبراز معالمها وكبرى دوافعها ومبرراتها.

كلمات مفتاحية:محمد إقبال – تجديد التفكير الديني – الاجتهاد – أصول الفقه – معالم – الدوافع.

Abstract:(not more than8Lines)

In this intervention, the researcher tries to shed light on the features of the renewal landmarks of Islamic religious thought supported by Muhammad Iqbal at the beginning of 1930s, by taking on one of the angles of this renewal, and it was his call to renovate the fundamental and legislative aspect of the literature of religious thought, represented in one of the chapters of the fundamentals of jurisprudence, namely the chapter of ijtihad, as Iqbal is rightly considered one of the standard-bearers of renewal in the early last century, and his call included several aspects: Through this intervention, the researcher wanted to shed light on the restored vision that Iqbal called for in this aspect of legislative fundamentalism, in order to highlight its features, major motives and justifications.

Keywords: Muhammad Iqbal - Renewal of Religious Thought - Ijtihad - Fundamentals of Jurisprudence - Landmarks - Motivations.

ملاحظة هامة: لا تتجاوز جميع الملخصات الصفحة الأولى

مقدمة:

(1) مؤسسة الانتماءجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة (قسنطينة/الجزائر)..

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانِ فترةٍ من الرُّسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه هدَوه، فما أحسن أثرهم على النَّاس، وأقبحَ أثر النَّاس عليهم! ثمَّ الصَّلاة والسّلام الأتمَّان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبيِّنا محمد بن عبد الله سيّد ولد آدم أجمعين، وعلى آل بيته الطيّبين الطّاهرين، وصحابته الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان من العلماء العاملين، والفقهاء المجدّدين إلى يوم الدين وبعد:

فإنّ من أبرز الصيحات والدّعوات التي تعالت في مطلع القرن العشرين هي الدّعوة إلى تجديد الخطاب والفكر الدّيني بمفهومه الشَّرعيِّ والفكريِّ الفلسفي، ومن أبرز هذه الدّعوات التَّجديديّة التي نادى بها أصحابها دعوة الدكتور محمد إقبال الهندي رحمه الله تعالى (1294-1357هـ/1877-1938م)، والذي تعدُّ دعوته التَّجديديَّة من أكثر الدعوات جدّيَّة وعمقا وتأثيرا في التاريخ المعاصر، حيثُ إنّ إقبالا ظلَّيناقضويحاججأفكارالفلاسفةالأوروبيينومقولاتهم، وظلّ يكافح في سبيل بيان زيف الحضارة الغربية والإمبريالية المستغلة،وفي الوقت نفسهيدافععنالأفكارالإسلامية،وعنمكانةالدينفيالعالمالحديث،إلا أنّ هذا لم يمنعه من أنينتقلبتساؤلاتهومناقشاتهإلىالداخلالفكرالدينيالإسلامينفسه،باحثاًومحللاًالعواملوالأسبابالفكريةوالتاريخيةالتيأوصلتالعالمالإسلاميإلىحالةٍ منالرُّكودوالجمود،ومتسائلاًعنمبدأالحركةفيبناءنظامالإسلام،وأنشريعةالإسلامقابلةللتطور،

وهنايقتربإقبالمنجوهرمحاولتهفيتجديدالتفكيرالدينيليقدمتأملاتهالفلسفيةالمبكرةفيهذاالشأن،ويفتحأمامالفكرالإسلاميآفاقالنَّظرفيمثلهذاالموضوعالذيلايخلومنحساسيةوتعقيد،

ولاشكفيأهميةوقيمةالتأملاتالتيأثارهاإقبالفيهذاالمجال،فهيتمثلإضافةلايمكنتجاوزهاأوالاستغناءعنهالأيمحاولةتتصدىلمهمةتجديدالفكرالديني

.

والمتأمِّل في دعوة محمد إقبال التَّجديديَّة يجدها قد شملت عدَّة مناحٍ، سواءً كانت تتعلق بالنَّاحية الفلسفيّة، أو تتعلّق بالعلم، أو بالتّجارب الرّوحية، أو الحضارة الإسلاميَّة وغيرها من المجالات والنواحي التي شملتها دعوة إقبال التّجديدية، ومن جملة تلك النواحي بل من أبرزها -حسب التَّقدير الشَّخصيِّ للباحث- هي دعوة إقبال للتَّجديد في جانب الاجتهاد الفقهي والأصوليِّ، حيث إنَّ إقبالا في كتابه الشهير **"تجديد التفكير الديني في الإسلام"** الصادر سنة 1930م باللغة الإنجليزية (Reconstruction of Religious Thought in Islam)، أطلق الدكتور محمد إقبال مقولة مهمة من الناحيتين الشَّرعيَّة والفكرية، اعتبر فيها أن الاجتهاد هو مبدأ الحركة في الإسلام، واكتسبت هذا المقولة قدرا من الاهتمام عند بعض الكتاب والباحثين العرب والمسلمين، وحتى عند بعض المستشرقين الأوروبيين التي وردت هذه المقولة وترددت في كتاباتهم ودراساتهم، وبما أنَّ الاجتهاد أحد أبرز محاور علم أصول الفقه التي ينبني عليها؛ إذ إنَّ هذا العلم الشَّريف قائم على ثلاثة محاور رئيسيَّة جمعت في تعريفه حيث عرّف بأنه: **"معرفة دلائل الفقه إجمالا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد"**، فعلم الأصول قائم على المحور الأوَّل المتعلِّق بضبط الأدلَّة والأصول التي تعتبر المنابع التي تستقى وتستنبط منها الأحكام الشَّرعيَّة، وهذا المحور هو المعبَّر عنه في التَّعريف بـ (**معرفة دلائل الفقه إجمالا**)، وقائم على المحور الثَّاني المتعلِّق بذكر أبرز القواعد المستعملة في عمليَّة الاستنباط، وهذا المحور هو المعبَّر عنه

في التَّعريف السَّابق بـ (**وكيفية الاستفادة منها**)، والمحور الثالث المتعلِّق بحال المستفيد، وهو المعبّر عنه في التَّعريف بـ (**وحال المستفيد**) يتعلَّق بالمجتهد الذي يقوم بعمليَّة استنباط واستثمار الحكم الشَّرعيِّ من دليله التَّفصيليّ، فحال المستفيد هو ما يتعلّق بالاجتهاد، والدكتور محمد إقبال طرح في كتابه السَّابق ذكره قضايا ومسائل تتعلَّق بالاجتهاد، وهذا ما دعا الباحث للتّساؤل وطرح إشكالية جديَّة حول هذا الموضوع.

التعريف بالمداخلة وميدانها:

تأتي هذه المداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي المنظم من طرف مخبر الدراسات الدعوية والاتصالية، وكذا مخبر الدراسات العقدية ومقارنات الأديان بكليَّة أصول الدين بجامعتنا العامرة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة، والموسوم بـ "**تجديد التَّفكير الديني في الإسلام –محمد إقبال أنموذجا–**" والمزمع عقده يومي16 و17شوال (1446هـ) الموافق 15و16 أفريل (2025م) بقاعة المحاضرات الكبرى عبد الحميد بن باديس، وتندرج هذه المداخلة ضمن المحور الأوَّل المتعلّق بـ "**دواعي ومجالات تجديد التفكير الدّيني الإسلامي**"، وبالضّبط ضمن اتجاهات ومدارس تجديد التفكير الديني الإسلامي، وقد اخترت عنوانا لهذه المداخلة وهو: "**البعد التجديدي في أصول الفقه في طرح محمد إقبال–باب الاجتهاد أنموذجا–**".

أهميَّة الموضوع:

تتجلَّى أهميَّة هذه الدِّراسة في النّقاط الآتية:

- تسليط الضَّوء على حياة إقبال ومساره العلمي وتكوينه الأكاديمي.
- إبراز مفهوم ومعنى التّجديد في فلسفة محمد إقبال
- بيان البواعث والدَّوافع لتجديد التفكير الديني في فلسفة إقبال
- إبراز المجالات التي شملتها الدعوة التَّجديديَّة لإقبال.
- تسليط الضَّوء على الرؤية التَّجديديَّة لمحمد إقبال في باب الاجتهاد.

إشكاليَّة المداخلة:

إنَّ الإشكاليَّة الرّئيسيّة التي يتمحور عليها هذا البحث أو الدّراسة هي حول النَّظرة التّجديديَّة لمحمد إقبال في أصول الفقه من خلال باب من أبوابه ألا وهو باب الاجتهاد، حيث إن إقبالا طرح في كتابه الآنف ذكره عدَّة مقاربات فكريَّة وفلسفيَّة تتعلّف بالفكر الديني الإسلامي، ومنها ما يتعلَّق بجانب الاجتهاد الأصولي، وعليه فالسؤال الرَّئيس والإشكال الجوهري الذي تتمحور حوله هذه الدِّراسة هو: ما الرؤية التَّجديديَّة لإقبال فيما يتعلَّق بالاجتهاد؟ وتتفرَّع عن هذا السؤال عدَّة أسئلة فرعيَّة أخرى وهي:

- ما هي نظرة إقبال للاجتهاد الذي يعدُّ أهمَّ أبواب علم أصول الفقه بل هو الغاية منه؟
- ما أبرز الدَّوافع والبواعث التي أدَّت بمحمد إقبال لرفع لواء الدَّعوة التَّجديديَّة في التَّفكير الديني؟
- هل هذه الدَّوافع هي مجرد دوافع ذاتية شخصيَّة أم أنَّها دوافع موضوعيَّة؟
- ما أبرز المجالات التي شملتها دعوة إقبال التَّجديديَّة؟

فهذه هي أبرز التساؤلات التي يرى الباحث أنَّها خليقة بالدّراسة والبحث، وهذه الدّراسة ووفق الخطة البحثية المقترحة كفيلة بحول الله تعالى بالإجابة عنها.

الدّراسات السَّابقة:

إنَّ دعوة إقبال التَّجديديَّة التي دعا إليها خاصَّة في كتابه المذكور لقيت صدًى واسع في أوساط المشتغلين بالفكر والثقافة الدينة والإسلاميَّة، ولهذا فلا غرابة من أن تتواتر الدّراسات حول دعوة إقبال التَّجديديَّة، ومن هذه الدراسات التي تمَّ الوقوف عليها ما يأتي:

1) **"محمد إقبال وتجديد الفكر الدّيني"** للدكتور زكي الميلاد، كتاب طبع عام (2008م) طبعة مركز الحضارة
2) **" محمد إقبال وموقفه من تجديد التَّفكير الدّيني"**، وهو مقال للأستاذ الدكتور صلاح الدين محمد شمس الدين الأزهري، عضو هيئة التدريس بكليةاللغةالعربية بجامعة السُّلطان شريف علي الإسلامية بروناي دار السلام، وقد نشر هذا المقال في العدد الخامس من مجلة لسانيات للغةالعربيةوآدابهابالكلية في نوفمبر (2021م).
3) **"من معالم التجديد عند محمد إقبال"** للدكتور كمال الجحيش أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميةبقسنطينة، وهو مقال نشر في مجله "المعيار" بالجامعة ذاتها،في العدد السادس المنشور بتاريخ:(2006/12/12م).
4) **"فلسفه الرؤيةالتجديدية لمحمد إقبال"**لسعيدة سوهال، وهو مقال منشور بواسطة مجلةالبحثية لمركز الدراسات والابحاث لمؤسسه خالد الحسن، والمنشور بتاريخ:(2019/9/24م).
5) **"الاجتهاد والتجديد في منظومة محمد إقبال الفكرية"** للدكتور محمد فاضل الفقيه،أستاذ الفلسفةالاجتماعية المساعد بكليةالتربيةالنادرة، وهو مقال منشور بمجلة الباحث الجامعي، العدد رقم (27) في شهر أكتوبر (2011م).
6) **"الاجتهاد ودوره في فهم الواقع عند محمد إقبال"** لصاحبه:Lalu Supriyadi bin Mujib، وهو مقال منشور في مجلة: Indonesian Journal of multidisciplinary Islamic Studies، العدد (5) جويلية (2021م).

والملاحظ على هذه البحوث والدراسات السابق ذكرها أنَّها تناولت التَّجديد في منظور محمد إقبال من زواياه الفلسفيَّة والفكريَّة فقط، ولم تتناوله من الجانب الأصولي والفقهي التَّشريعي، إلا في البحثين الأخيرين فإنَّهما تطرقا إلى جانب الاجتهاد في رؤية إقبال، وإن كان طرحهما لهذه المسألة يتَّسم بالسَّطحيَّة والاختصار المخل، حيث إنَّهما أسهبا في الجانب الفكري والفلسفي في معالجتهما لقضية الاجتهاد من منظور إقبال، ولعلَّ السبب الذي يرجع إليه هذا الاختصار المخل أنَّ أصحاب هذه البحوث ليسوا من أهل التَّخصُّص الدَّقيق في مجال الفقه والأصول، ولهذا تشجَّعت في طرق هذا الموضوع، والمشاركة بهذا البحث والمداخلة لمعالجة هذه القضيَّة من هذه الزَّاوية الدَّقيقة.

الخطَّة المقترحة:

للإجابةعنالتساؤلات المثارة في الإشكاليَّة المذكورة آنفايقترحالباحثخطَّةمنهجيَّةانتظمت في المحاور التالية:

- **مقدِّمة:**

- **المبحث الأوَّل:محمد إقبال حياته ومسيرته.** وفيه خمسة مطالب وهي:

  - **المطلب الأوَّل:** إقبال الاسم والنَّسبوالمولد.
  - **المطلب الثَّاني:** المسار التَّعليمي والدراسي لمحمد إقبال.
  - **المطلب الثالث:** سفرياته للخارج.
  - **المطلب الرَّابع:** المناصب والوظائف.
  - **المطلب الخامس:** وفاته وتراثه العلمي والفكري.
    - الفرعالأوّل: المؤلفاتالنَّثريَّة
    - الفرع الثَّاني: الدواوين الشّعريَّة.

- **المبحث الثاني:الدَّعوة التَّجديديَّة لمحمد إقبال المفهوم والدوافع والمجالات.**

  - **المطلب الأوَّل:** مفهوم التجديد في فلسفة إقبال
  - **المطلب الثاني:** دوافع التجديد في طرح إقبال
    - الفرع الأوَّل: الدوافع الذاتية لمحمد إقبال
    - الفرع الثَّاني: الدوافع التَّاريخيةوالحضاريَّة
  - **المطلب الثالث:** مجالات التَّجديد عند محمد إقبال.
    - الفرع الأوَّل: التَّجديد في مجال العقيدة.
    - الفرع الثَّاني: التَّجديد في مجال الأخلاق والسُّلوك.
    - الفرع الثَّالث: التَّجديد في مجال الفقه وأصوله.

- **المبحث الثالث: التجديد في أصول الفقه في نظر محمد إقبال**
  - **المطلب الأوَّل:** نظرات في دعوة تجديد أصول الفقه
    - الفرع الأوَّل: مفهوم تجديد أصول الفقه
    - الفرع الثَّاني: دواعي التَّجديد في علم أصول الفقه
  - **المطلب الثاني:** معالم التجديد الأصولي في طرح إقبال –الاجتهاد أنموذجا–
    - الفرع الأوَّل: اهميه الاجتهاد في تحقيق التجديد
    - الفرع الثَّاني: البواعث الدَّافعة للاجتهاد في نظر إقبال

- الفرع الثَّالث: معالم التجديد في الاجتهاد الاصوليِّ عند إقبال

➢ **الخاتمة:** وفيها يتم ذكر أهمَّ النتائج المتوصَّل إليها في البحث.

المبحث الأول: محمد إقبال حياته ومسيرته.

1.1 المطلب الأول: إقبال الاسم والنَّسب والمولد.

هو محمد إقبال بن الشيخ نورمحمد بن محمد رفيق السَّيالكوتي، شاعر وفيلسوف الهند،المعلم السِّياسي، والأديب المثقَّفُ، الناطق باللغةالفارسيةوالأوردية‌والعربيةوالإنجليزيةوالألمانية، نزيل البلدان الأوروبيةوالعربية.

ولد محمدإقبال حسب رواية وتحقيق ولده الدكتور جاويد –الذي كتب سيرةأبيه وحقّق مطوّلا في تاريخ مولد والده– في الثالث من ذي القعدة(1294هـ) الموافق للتاسع نوفمبر (1877م) في مدينة سيالكوت بمقاطعه البنجاب الهندية(جاويد، 2005، صفحة 102)، ينحدر محمد إقبال من عائلة ذات أصل برهميٍّتدين بالهندوسيَّة، كانت تعيش في كشمير أحد أقاليم شبه القارة الهنديَّة، وقد أسلم أحد أجداده في عهد السلطان زين العابدين إلياس بادشاه (814– 877هـ)، وكان ذلك على يد الشيخ شاه همداني أحد مشايخ الصوفيَّة في عهد الدَّولة المغوليَّة كُبرى الدّول الإسلامية التي قامت في الهند(الميلاد، 2008، صفحة 13).

هاجرمحمدرفيقجدُّمحمدإقبالمنقريةلوهرفيكشميرإلىمدينةسيالكوتمنولايةبنجاب، حيث حلَّ بها هو وإخوة ثلاثة له،وكثيرمنأهلكشميريهاجرونإلىسيالكوتطلباللرّزق،إذكانتأقربالمدنإلىبلادهم،ومنهاينتشرونفيأرجاءالهند،فكثيرمنأهلسيالكوتيرجعونإلىأصول كشميريَّة(عزام، 2014، صفحة 23).

2.1 المطلبالثاني:المسار التَّعليمي والدِّراسي لمحمد إقبال.

بدأ محمد إقبال دراسته في سنٍّ مبكرة،حيث ألحقهأبوه الشيخ نور محمد بأحد حلقات تعليم القرآن الكريم في مسجد الشيخ غلام حسن في مدينة سيالكوت وهو في سنِّ الرَّابعة من عمره(Bin Mujib، 2021، صفحة 173).

ثم التحق بمدرسة دينية يُشرف عليها ويديرها الشيخ السيد مير حسن (Mir Hasan)أحد أصدقاء والده، وأخذ يدرس فيها اللغات الأوردية‌والفارسيةوالعربية، حيث بقي فيها إقبالٌ ثلاث سنوات تقريبا، حيث أولاه شيخه فيها اهتماما خاصا، وحينما عُيِّن مير حسن مدرّسا بالمدرسةالإرسالية الإسكاشيةأقنع والدَه نور محمد أن يرسل ابنه إقبالاإلى هذه المدرسة، فالتحق إقبال بها وكان له من العمر ثماني أو تسع سنوات.

وفي سنة(1891م) نجح إقبال في امتحان الشهادةالمتوسطة ورقي إلى الصف التاسع من المرحلةالثانوية وكان قد بلغ من العمر الرابعة عشرة من العمر.

وفي سنة(1893م) حصل إقبال على الشهادةالثانوية ونال الدرجة الأولى، وحصل على وسام ومنحة مالية وكان عمره ستة عشر سنة، ثم التحق بالكليةالإرسالية الإسكاشية في (5 مايو 1893م)، وتخرج منها سنة(1895م)،وفيالسنةذاتها التحقإقبالبالكليةالحكوميةبلاهورعاصمةالبنجاب،وتخرَّجمنهاسنة(1897م)بدرجةالامتيازباللغةالعربيةوالإنجليزية، وكان من أبرز أساتيذه الذين تأثّر بهم إقبال هو الأستاذ السِّير توماس آرنلد (Thomas Arnold)، حيث يُعتبر أوّل من تعلّم منه من الأوربيِّين(Bin Mujib، 2021، صفحة 174).

وفيسنة(1897م)تقدمإقباللمرحلةالماجستيرفيالفلسفةبنفسالكليةالحكومية،حيثحصلعلىشهادةالماجستيرفيالفلسفة بعد عامين من ذلك سنة (1899م).

3.1 المطلب الثالث: سفرياته للخارج.

لقد زار محمد إقبال كثيرا من الدول الأوروبيّة والعربيَّة، حيث كان رحمه رحَّالة فتحت كبرى العواصم الأوروبيَّة والعربيَّة أبوابها، كما أنَّ حظي مكانة عند كثير من المسؤولين الذين رسموا معالم التَّاريخ في الثلث الأول من القرن الماضي، وكانت لكثرة سفريات إقبال وتطوافه في كثير من البلاد الأثر البالغ في رسم شخصيَّته الفكريَّة والفلسفيَّة، وهو الأمر الذي غرس في نفسية الرجل الرَّغبة الملحَّة للتَّجديد بحسب أفكاره وتصوَّراته، وفيما يأتي مسرد بسيط لبعض ما ذكر من رحلاته وتجواله في البلاد المختلفة:

ففيسنة(1905م)سافرإقبالإللندنودرسفيجامعهكمبريدجبكليَّة التَّثليث، وحصلعلىشهادةعاليةفيالفلسفةوعلمالاقتصادومكثهناكسنتينيحاضرعنالإسلام،وعملأستاذاللغةالعربيةفيجامعهلندن، ثم سافر إلى ألمانيا ودرس الفلسفة في جامعه ميونخ وحصل على شهادة الدكتوراه عن دراسة بعنوان:**"تطور الميتافيزيقيا في بلاد فارس"**(Dévelopement of Metaphysics in Persia)، ثمَّ عاد إلى بريطانيا وحصل على شهادة في المحاماة من جامعةكامبريدج، وانتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة في لندن.

كما زار إقبال عددا من بلدان أوروبا، وكان في كل أسفاره يعمل على نشر الإسلام، وقد أثَّر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين ومنهم الزَّعيم الإيطالي موسوليني (Mussolini) حيث وجه له دعوة عقب مشاركته في مؤتمرات المائدةالمستديرة في لندن عامي (1930 و1931م)(Bin Mujib، 2021، صفحة 175)، وذهب بالفعل إلى إيطاليا والتقى بموسوليني وألقى محاضرة في روما يبين فيها الفرق بين مذهب كل من الحضارةالغربيةوالشيوعيةوالحضارةالإسلامية.

ثم زار إقبال إسبانيا في عام (1932م) بعد أن حضر مؤتمر الدائرةالمستديرة الثالث، وحرص على مشاهده المعالم الإسلامية، حيث وقف أمام جامع قرطبة، واستأذن من الحكومة الإسبانية أن يُصلي في المسجد الذي تحوَّل إلى كنيسة.

وفي أكتوبر سنة (1933م) زار إقبال أفغانستان تلبية لملكها (نادر شاه) بقصد النَّظر في أوضاع تعليم البلاد، وإعداد مشروع لأوّل جامعة في كابل(الميلاد، 2008، صفحة 18).

كما زاد مصر حين دُعي إلى المحاضرة في جامعه القاهرة،حيث ألقى عددا من المحاضرات هناك،كما ألقى محاضرةباللغةالإنجليزية عن تطور الفكر الإسلامي، وزار القدس الشَّريف وألقى فيه كلمة عن الحضارةالإسلامية، ورحب به في المؤتمر الاسلامي بالقدس في ثلاثينيات القرن الماضي(Bin Mujib، 2021، صفحة 175).

4.1 المطلب الرَّابع: المناصب والوظائف.

تقلَّد محمد إقبال عدَّة مناصب علميَّة وأكاديميَّة في مختلف المجالات والدّوائر الحكوميَّة، ففينوفمبر (1899م) انتخب إقبال عضوا بالمجلس التنفيذي لجمعية حماية الإسلام التي أُنشأت بلاهور سنة(1884م) لمواجهة الارساليات المسيحية ونشاطاتها التَّبشيرية بين المسلمين، واستمرت علاقةإقبال بهذه الجمعيةإلى حين وفاته.

وبعد تخرجه من كليَّة لاهور سنة (1903م) عُيِّن أستاذا للتاريخ والفلسفةوالسياسة في كل في الكليةالشرقية بلاهور، ثم عُيِّن أستاذًا للإنجليزيةوالفلسفة في الكليةالحكومية التي تخرج فيها(عزام، 2014، صفحة 34).

وفي سنة(1908م) وبعد عودته من ألمانيا إلى بريطانيا حصل إقبال على الإجازة في المحاماة من جامعة لندن، حيث وفي العام ذاته تم تسجيله كمحامٍ في ديوان القضاء العالي بعد عودته إلى بلاده، وسمحت له السلطات بأن يشتغل بمهنة المحاماة في القضاء العالي لإقليم البنجاب.

وفي مارس (1909م) انتخب إقبال عضوا بجمعية بنجاب الإسلامية والتي أنشئت سنة(1869م) وكانت تشرف على شؤون المسجد الملكي والمساجد المهمة الأخرى،حيث بقي عضوا فيها حتى وافته المنية.

وفي ماي (1909م)أخذ إقبال يدرِّس الفلسفةبالكليةالحكومية بلاهور مؤقتا إلى جانب مهنةالمحاماة، وفي العام ذاته عُين رئيسا مشاركا لتحرير مجلة قانونية كانت تنشر تقارير عن القضايا القانونيةالهندية، كما شارك في سنة(1913م) مع أحدأساتذة التاريخ بالكليةالحكومية في وضع كتاب المنهجي لتاريخ الهند، كما انتخب في عام (1919م) عميدا لكلية الدِّراسات الشرقية بلاهور.

وفي يناير (1923م) منحت الحكومةالإنجليزيةإقبالا لقب (سير) اعترافا بمكانته العلمية واستحسانا لخدمته الأدبية، وفي السنة ذاتها انتُخب عضوا في المجلس العلمي للجامعة، كما عين عضوا في لجنةالأستاذية التي كانت مهمتها اختيار المحاضرين والأساتذةللجامعة،ورُشِّح كذلك عام (1924م) عضوا في لجنة الجامعات التي كانت مهمتها تقديم الاقتراحات لتحسين الظروف والأحوال في إدارةالجامعة للجانالاستشارية.

وفي عام (1927م) عُيِّن إقبال عضوا برلمانيا بعد ان شجعه بعض أصدقائه على خوض الانتخابات التشريعية، حيث رشَّح نفسه عن إقليم البنجاب بعد تردد كبير فحقق فوزا ساحقا على منافسيه، وفي سنة(1929م) عُرض على إقبال عضويةدائمة في اتحاد الكليةالمتوسطة في عليكرة (Aligarh)،حيث منحته شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب، وفي سنة(1935م) انتُخب إقبالٌ رئيسا لفرع الرابطةالإسلامية في بنجاب، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته.

5.1 المطلب الخامس: وفاته وتراثه العلمي والفكري.

في سنة (1935م) بدأت الأمراض والعلل تعتري جسد محمد إقبال، حيث أصيب بمرض كاد أن يفقده بصره، وأدى إلى بحَّة صوته، كما أنَّه في العام ذاته فقد زوجته فتأثَّر لذلك أثرا كبيرا، وترادفت عليه العلل والأمراض حتَّى أصيب بمرض القلب، وبقيت الأمراض والعلل تشتدُّ عليه إلى أن وافاه الأجل فجر 21 أبريل سنة(1938م) عن عمر يناهز 65 عاما وشهرا وتسعة وعشرين يوما(عزام، 2014، صفحة 52)، ودفن في لاهور،وقد ترك رحمه الله ثلاثة منالأولاد وهم:أقتاب إقبال، وأجاويد إقبال ومنيرة باتو(Bin Mujib، 2021، صفحة 176).

وقد ترك محمد إقبال رحمه الله تعالى من المؤلفات الشَّيء الكثير، فقد أضفى على الخزانة الإسلاميَّة من التراث الفكري والأدبيآثارا علميَّة كثيرة،فيها كتبٌ قيِّمة، وأشعارٌ راقية، وفلسفة عميقة، وأدب رفيع،فلإقبال تسعة دواوين شعريَّة تضمنت نحو (12000) بيتا من الشِّعر، منها قرابة(7000) بيتابالفارسية، و(5000) بيتابالأردية(Bin Mujib، 2021، صفحة 175)، وفيما يأتي مسرد لأهمّ أعماله الشّعريَّة والنّثريّة(الميلاد، 2008، صفحة 211):

1.5.1 الفرع الأوّل: المؤلفات النَّثريَّة

1) **"علم الاقتصاد"** وقد صدر باللغةالأردية، وهو أوَّل مؤلفات إقبال.
2) **"تطور ماوراء الطبيعة في إيران"**وهو رسالته للدكتوراه، وقد نشرت باللغةالإنجليزية في لندن عام (1908م).
3) **"تجديد التفكير الديني في الاسلام"** وهو أشهر كتبه على الإطلاق، وقد طبع باللغةالإنجليزية عام (1930م)، وقد ترجمه إلى اللغةالعربية الأستاذ عباس محمود بالقاهرة سنة(1955م).
4) **"الأفكار المختلفة"** وقد صدر بعد وفاةإقبال عام (1961م)، ويحتوي على ملاحظات وانطباعات حول قضايا متعددة.

2.5.1 الفرع الثَّاني: الدّواوينالشِّعريَّة.

1) **أسرار خودي "أسرار الذاتية"** صدر باللغةالفارسية عام (1915م).
2) **رموز بي خودي "رموز نفي الذات"** صدر باللغةالفارسية عام (1918م)، وهو يتمم الديوان السابق ويتكامل معه، وقد ترجمه الدّكتور عبد الوهاب عزام كليهما وجمعهما في ديوان واحد بعنوان **"الأسرار والرموز"** صدر بالقاهرة عام (1956م).
3) **بيام مشرق "رسالة الشرق"** صدر باللغةالفارسية عام (1923م).
4) **بانك درا "صلصله الجرس"** صدر باللغةالأردية عام (1924م).
5) **زبور عجم "أناشيد فارسية"** صدر باللغة الفارسية في عام (1932م).

6) **جاويد نامه "رسالة الخلود"** صدر بلغةالفارسية عام (1932م).

7) **"مسافر"** صدر باللغةالفارسية عام (1934م)، ويحكي قصة سفره إلى أفغانستان عام (1932م).

8) **بال جبريل "جناح جبريل"** صدر بالأردية عام (1935م).

9) **بس جه بايد كرد اي أقوام مشرق "ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق"** صدر باللغةالفارسية عام (1936م)، وفيه وجَّه إقبال خطابا إلى أمم الشرق التي تعرضت للغزو الأوروبي وهيمنةالحضارةالغربية.

10) **ضرب كليم "شريعة موسى أو عصى موسى"** صدر باللغة الأردية عام (1936م).

11) **أرمغان حجاز "هدية الحجاز"** صدر عام (1938م).

12) **سرود رفته "أنشودة الماضي"** صدر عام (1959م).

المبحث الثاني: الدَّعوة التَّجديديَّة لمحمد إقبال المفهوم والدَّوافع والمجالات.

1.2 المطلب الأول: مفهوم التَّجديد في فلسفة إقبال.

لقد ألَّف محمد إقبال كتابه الموسوم بـ **"تجديد التَّفكير الدّيني في الإسلام"** المترجم إلى اللغة العربيَّة، حيث إنَّ إقبالا ألّفه بالإنجليزيَّة **"Reconstruction of Religious Thought in Islam"**، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها في (مدراس) و(حيدر آباد) و(عليكرة)، وقد طبع لأوَّل مرَّة في (لاهور) سنة 1930م، ويعتبر هذا الكتاب أكبر أثر فكري تركه إقبال في مسيرته العلمية الحافلة، وقد اشتهر إقبال كثيرا بهذا الكتاب عند الغربيين أوَّلا، ثمَّ عند العرب والمسلمين وغيرهم، وأشارت إلى مثل هذه الملاحظة مجلة:**"فكر وفن"**الألمانية في العدد 32 سنة(1979م)، حيث اعتبرت محاضرات هذا الكتاب –دون شك– أشهر بحوث إقبال الفلسفيةوالفكرية(الميلاد، 2008، صفحة 47)، وقد تناول في هذه المحاضرات عدّة من القضايا الفكرية والفلسفية والعلميّة، وكان من جملة ما طرحه إقبال هو مسألة تطوير الشّريعة الإسلاميَّة وتجديدها، والحقيقة أنَّ إقبالا لم يقصد في الواقع أن يُقدِّم فلسفة متكاملة لمذهب فلسفي ديني متميز،وإنَّما قصد ما عبر عنه في مقدمة محاضراته وهو بناء الفلسفةالدينيةالإسلامية بناءً جديدا،آخذا بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام إلى جانب ما حدث للمعرفةالإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة(الأزهري، 2021، صفحة 43)، وفي هذا يقول في مقدمة هذه المحاضرات(إقبال، 2011، صفحة 10): **"وفي هذه المحاضرات .... أردت أن أحقق هذا المطلب الهام، حيث عمدت إلى إعادة بناء الفلسفة الدينية الإسلاميَّة، محافظا على روحها الأصليَّة من ناحية، مسترشدا بأحدث التطوُّرات في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية من ناحية أخرى"**، فالشيء الواضح من موقف محمد إقبال أنَّه حاول صياغة الفكر الدِّيني صياغة فلسفية يجمع فيها بين أصول الإسلام

ومنهج الفلسفةالغربية، وهو يعلن في مقدمة محاضراته هذهأنَّه لا يُقدِّم صياغة نهائية، ولا حلولا نهائية للمعضلات التي طرحها، لأن التفكير الفلسفي ليس له حد يقف عنده،فلربما يمكن للوصول إلى آراء أصح من الآراء التي قدمها(الأزهري، 2021، صفحة 43).

كما أنَّمحمدإقبال طرحموضوعالتّجديدبعدأنأخذيتساءلعنالخللفيالفكرالدينيالاسلامي،ومااالعواملوالأسبابالفكريةوالتاريخيةالتيأوصلتالعالمالإسلاميإلىحالةمنالركودوالجمود،كماتساءلعنمبدأالحركةفيبناءنظاماالإسلام،وهلأنشريعةالإسلامقابلةللتطوُّرأملا؟وهذاكلهلايكونبطبيعةالحالإلا بعدالبحثعنالعواملوالأسبابالتيأدتبالأمّةالإسلاميةإلىهذهالحالةالمريرة،

وهنايقتربإقبالمنجوهرمحاولتهفيتجديدالتَّفكيرالدِّينيليُقدِّمتأمُّلاتهالفلسفيةالمبكرةفيهذاالشأن،ويفتحأماماالفكرالإسلاميآفاقالنَّظرفيمثلهذاالموضوعالذيلايخلوامنحساسيةوتعقيد.

2.2المطلب الثَّاني: دوافع التَّجديد في طرح إقبال.

إنَّ إقبالا بعد أن ظلَّ يناقض ويحاججأفكار الفلاسفة الأوروبيين ومقولاتهم، وهو في الوقت ذاته يدافع عن الأفكار الإسلامية وعن مكانه الدين في العالم الحديث؛أخذ يتنقل بتساؤلاته ومناقشاته إلى داخل بيت الفكر الديني الإسلامي، باحثا ومحللا العوامل والأسباب الفكريةوالتاريخية التي أوصلت العالم الإسلامي إلى حالةمن الركود والجمود، ومتسائلا عن مبدأ الحركة في بناء نظام الإسلام، وهل أنَّالشريعةالإسلامية قابلة للتطوُّر؟(الميلاد، 2008، صفحة 71)، وفي حديثنا عن دوافع التَّجديد في طرح محمد إقبال أرى أنَّه من الحري أن نقسمها إلى قسمين أو محورين اثنين، قسم يتعلَّق بالدوافع الذاتية التي دفعت بإقبال نفسه لمثل هذا الطَّرح المتعلق بتجديد التَّفكير الديني، وقسم يتعلّق بالدوافع الفكرية والتاريخية والحضارية للفكر الإسلامي التي تقتضي التّجديد.

- **القسم الأوَّل**: الدّوافع الذاتية لمحمد إقبال.

لقد ذهب كثير من الباحثين إلى أنَّ إقبالا تلقَّى من أنواع الثَّقافات البشرية ما فتح عينيه وفكره على المرحلة الواقعية في الشرق والغرب، وما شاهده هنا وهناك من عوامل الازدهار والنموّ والتطور، وكذا عوامل الجمود والخمول والتدهور،كما رأى التفاوت بين الشرق والغرب،أو بين الدُّول الإسلامية والدّول الغربية، فأحس بالألم وازدادت حدّة التوتر في نفسه تحت تأثير عاملين(الأزهري، 2021، صفحة 40):

- عامل سياسي يتمثل في السيطرةالإمبريالية التي أخذت بخناق الشعوب الشرقية عامَّة، والشُّعوب الإسلامية خاصه، وما لقيه أهل الهند بصفة أخصّ من عدوان واستعباد وتسخير وحشي تحت نيران الحكم الانجليزي.
- عامل ديني يتمثل في التناقض الصَّارخ بين واقع المسلمين وبين حقيقة دينهم،حيث كان إقبالٌ يحتفظ في أعماق فكره ووجدانه بتلك الصُّور الرائعة عن الإسلام، بينما يرى المسلمين الذين أغرقوا في شكليات هذا الدين في أحطِّ دركات الانحطاط والتخلف.

كما أنَّهأخذ يدرس ويحلل واقع المسلمين في البلاد الإسلاميَّة عموما،وفي الهند على وجه الخصوص فوجد أنَّ دوافع تخلفهم وانحطاطهم ترجع إلى العوامل الآتية(الأزهري، 2021، صفحة 42):

- الجهل العام بأساليب الحياة الناجحة، وفي مقدمته ذلك الجهل بالعلوم العملية،وبأساليبالمدنية والتَّنظيم الاجتماعي.
- فساد العقيدة وتحوُّل التَّوحيد الإسلامي إلى وثنية مستترة وراء عبادة الأولياء وتقديس الأضرحة وتقدير المشعوذين والسحرة والانجذاب للأوهام.
- الزهد في الحياةوانتشار الرهبنةوالطُّرق الصوفية،وذلك بانتشار الروح التكاسلية والتواكلية،حيث كفَّ الناس عن العمل واستسلموا للأقدارفي يأس، وانقادوا كالأنعامالمسخرة يوجهها من شاء كيفما شاء.
- إقبال الشباب المسلم على الحضارةالغربية وهم مبهورون بقوَّتها ومفاتنها ومباهجها،إذ لم يجدوا في واقع آبائهم ومجتمعاتهم إلا ما يبعث على القنوط ويزهِّد في العيش ويضيِّق المطامح ويخنُق الآمال.

فكان هذا الواقع الاجتماعي والفكري البئيس للمسلمين في زمانه، مع مقارنته بروح الإسلام الحقيقية هوالدافع الرئيس الذي نسج الخيوط، ومهَّد الطَّريق لفكرة إقبالالإصلاحية ولمحاولته التجديدية، وهذا الدافع –أعني الاطلاع على ما في العالم الغربي من تطور وتحضر ومقارنة ذلك مع حال المسلمين– هو الذي حذا بالكثيرين من رواد التَّجديد إلى رفع لوائه والمناداة بضرورته، ولم يقتصر الأمر على الفلاسفة والمفكرين من أمثال إقبال، بل تعدَّى ذلك إلى الفقهاء والمشايخ، مثلما حصل مع الشيخ الفقيه رفاعة رافع الطَّهطاوي المصري الذي بعثه محمد علي باشا ضمن بعثة لفرنسا، حيث مكث فيها سنوات واطَّلع على مدى التحضُّر والتمدّن الذي شهدته فرنسا في تلك الحقبة من الزمن، مع مقارنته بحال المسلمين في بلاد مصر، فأصيب بالدّهشة والذهول مما رآه بتلك البلاد، وألَّف في ذلك كتبا بعنوان **"تخليص الإبريز في تلخيص باريز"**، ولهذا كان الطهطاوي من أبرز دعاة التَّجديد في التفكير الديني، وكذا من أكبر الدعاة إلى ضرورة اهتمام المسلمين بالعلوم التَّجريبيَّة التي تدفع بهم إلى النهضة والتطور، ولهذا قال في مقدمة كتابه واصفا قصة وسبب تأليفه(الطهطاوي، 2010، صفحة 11): " ... **وأنطقتها بِحَثِّ ديار الإسلام على العلوم البرَّانيَّة والفنون والصنائع، فإنَّ كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع، والحق أحق أن يتّبع، ولعمر الله إنني مدَّة إقامتي بهذه البلاد، في حسرة على تمتّعها بذلك، وخلوّ ممالك الإسلام منه"**، فهذا نفسه هو الذي حصل لمحمد إقبال بعد تطوافه وتجواله في كبرى العواصم الأوروبيَّة، وما فيها من تقدم وتطور ونهضة، وهو ما اصطلح عليه بعد ذلك لتكرره بدهشة الطَّهطاوي.

➢ **القسم الثَّاني**: الدَّوافع التاريخيَّة والحضاريَّة.

وأمَّا عن الأسباب الحضاريَّة والتَّاريخيَّة والفكريَّةالتي أوصلت الفكر الديني التشريعي إلى حالة من الجمود والرّكود فهي ترجع في نظر إقبال إلى ثلاثةأسباب فكرية وتاريخية وهي(إقبال، 2011، الصفحات 249-253):

- تعثر وفشل الحركةالعقلية التي ظهرت في صدر الدولةالعباسيةنتيجة ما أثارته من خلافات كبيرة،كالخلاف الذي ظهر حول مسألة خلق القرآن،وكذا مغالات بعض العقليين في أفكارهم من دون قيد من ناحيةأخرى، هذه الخلافات الإيديولوجيَّة الجافَّة أسهمت بشكل كبير وبأثر عمي قفي الجمود الفكري للمسلمين طيلة عقود من الزَّمن.

- ظهور التصوف ونموه متأثرا في تطوره التدريجي بطابع نظري بحت وغير اسلامي، حيث خلق بإصرارهعلى التَّفريق بين الظاهر والباطن نزعة من عدم المبالاة بكل ما يتصل بالظاهر دون الباطن، فحجب أنظار الناس عن ناحية هامة من نواحي الإسلام بوصفه دستورا اجتماعيا، ولمواجهة هذا الوضع وجد جمهور المسلمين أنَّ خير ضمان لهم اتباع المذاهب في تسليم أعمى على حد وصف إقبال.
- تخريب بغداد، وهي مركز الحياةالإسلاميَّة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، حيث مثَّل تدميرها نكبة فادحة، وكان من الطبيعي –كما يقول إقبال– في مثل هذا العصر من الانحلال السياسي أن يخشى رجال الفكر من المحافظين وقوع الانحلال الآخر، وهو الانحلال الفكري والإيديولوجي، فركزوا جهودهم كلَّها في أمر واحد وهو الاحتفاظ بحياة اجتماعية مضطردة واحدة، وفكرا دينيا مشتركا للناس جميعا، ولهذاأنكروا كل تجديد في أحكام الفقه التي وضعها الاولون من الفقهاء.

3.2 المطلب الثّالث:مجالات التَّجديد عند محمد إقبال.

إنَّ نظرة إقبال التَّجديديَّة لم تقتصر على ناحية واحدة من نواحي الفكر الدّيني، كما أنَّ سعيه في بعث الرُّوح الجديدة في جسد الأمَّة الإسلامية المثخن بجراح الجهل والتخلف لم يقتصر أيضا على زاوية واحدة، بل شمل جميع النواحي والزّوايا في أدبيات الفكر الديني الإسلامي، ويتلخص سعي محمد إقبال إلى تشكيل جديد لمصداقية الإسلام على النحو الآتي:

- **الجانب الأوَّل: التجديد في مجال العقيدة.**

ويكون ذلك بصياغة جديده للعقيدةالإسلامية، وفي هذا المجال أسس مبادئ جديدةللإسلام في ضوء محتويات القرآن الكريم والفكر الفلسفي والعلمي، فعالج قضايا الايمان بالله، والايمان بالبعث، والايمان بمحتوى التوحيد الإسلامي كله بما في ذلك عقيدة القضاء والقدر، فإقبال رحمه الله كثيرا ما يحاول في مطارحاته المزج بين القضايا الدينيّة والشَّرعية بالتَّجارب العلميَّة والأطروحات الفلسفيّة الفكريّة، وهذا يبدو جليًّا في كتابه تجديد التَّفكير الدّيني، حيث إنَّه عقد فصلا كاملا وجعله الأول في كتابه وعنونه بعنوان: (المعرفة والتَّجربة الدّينيّة)، كما أنَّه في الفصل الثاني (الاختيار الفلسفي للتجربة الدينية) ذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الفلسفة الإسكولائيَّة –وهي الفلسفة التي ظهرت في القرون الوسطى للتوفيق بين فلسفة الفلاسفة الكلاسيكيين كأرسطو وعلم اللاهوت المسيحي– تسوق ثلاثة أدلَّة على وجود الله، وهي ما تعرف بالدَّليل الكوني، والدَّليل الغائي، والدَّليل الوجودي(إقبال، 2011، صفحة 55)، كما أنَّه ناقش كثيرا من القضايا والمسائل العقائديَّة من منظور علمي، ومن زاوية فلسفيَّة فكريَّة، في إيماء منه إلى ضرورة إشراك وإدراج المعارف الإنسانيَّة في القضايا الشَّرعيّة والعقائديَّة.

بل إنَّه على سبيل المثال أيضا فسَّر وبكل جرأة قصة هبوط آدم وزوجه من الجنَّة تفسيرا خارجا على نطاق الموروث من علماء الأمَّة من مفسرين وفقهاء، حيث يرى أنَّ قصَّة هبوط آدم كما جاءت في القرآن الكريم لا صلة لها بظهور الإنسان الأوَّل على هذا الكوكب، وإنَّما الغرض منها –بحسب زعمه– هو بيان ارتقاء الإنسان من الحياةمن الحالةالبدائيةللشهوةالغريزية،إلى الشُّعور الواعي

بأنَّه يملك نفسا حرَّة قادرة على الشَّكِّ والعصيان، وفي السياق ذاته يُقدِّم تأويلا للجنَّة لا يتفق مع ما هو معروف من تراث العلماء المسلمين، وأنَّالجنةالمذكورة في قصةآدم ليست هي الجنة التي وعد الله بها المتقين(إقبال، 2011، الصفحات 141-143).

- **الجانب الثاني: التجديد في مجال الأخلاق والسلوك.**

ويكون ذلك بصياغة مبادئ جديدةلأخلاق الفرد المسلم، وفي هذا المجال حدد القيم الجديدةالكفيلة بشحن المسلم بفعاليةوديناميكيةخلاقة، فأعطى للعمل وضبط النفس ونشدان الكمال الذاتي والجهاد نهجا جديدا(الأزهري، 2021، صفحة 44)، فمحمد إقبال ينتقد الإغراق في المثاليات على حساب النظرة الواقعية للأشياء، ولهذا مرَّ معنا في المطلب السابق فيما يتعلَّق بالدوافع التاريخيَّة والفكرية للتجديد عند إقبال أنَّه انتقد إصرار الصّوفية على التفريق بين الظاهر والباطن، ونزعة اللامبالاة بكل ما لا يتصل بالباطن، ولهذا فإنَّ إقبالا يرى ضرورة التَّجديد في جانب الأخلاق والسلوك، ويكون ذلك بشحن نفسية المسلم بالخلاق والمبادئ والمثل التي تدفع به إلى أن يكون فعالا وحركيا في مجتمعه وقومه.

- **الجانب الثالث: التجديد في مجال الفقه وأصوله.**

ويكون ذلك بتجديد أو بعث العناصر الخلاقة في الفقه الإسلامي، كي يتماشى مع الحياةالمتطورةللمسلم، وذلك بالإلحاح على فتح باب الاجتهاد، واستخدام الإجماع كأصل من أصول التَّشريع استخداما يغطي كل الاحتياجات المستجدة في دنيا المسلمين ومجتمعهم، وهذا هو الجانب الأصوليُّ الذي ارتأينا طرحة ودراسته في هذا البحث، محاولين كشف النّقاب عن وجهة نظرإقبال التَّجديديَّة في هذا الجانب من أدبيات الفكر الإسلامي، وهو الجانب الأصوليُّ، وهو ما سنطرقه في المبحث الموالي.

المبحث الثالث:التَّجديد في أصول الفقه في نظر محمد إقبال

1.3 المطلب الأوَّل: نظرات في دعوى تجديد أصول الفقه.

1.1.3 الفرع الأوَّل: مفهوم تجديد أصول الفقه.

ليس من السَّهل على الباحث بحال من الأحوال أن يظفر الباحث بتعريف ومفهوم سهل وواضح لتجديد أصول الفقه في كتب المتقدّمين، وذلك لأن فكره تجديد أصول الفقه التي ظهرت بهذا المسمى ضبطا وتحديدا لم تطفو في الساحةالفكريةالإسلاميةإلا في وقت متأخر، فهذه الفكرةإلى ما قبل الثّمانينيات من القرن الماضي كانت الكتابة فيها أو حولها بحكم الغائبةأو النادرة جدا، بحيث أنها لم تكن تكاد تذكر إلا بالشيء النادر، ويُرجح كثيرٌ من الباحثين(الميلاد، تجديد أصول الفقه دراسة تحليلية نقدية لمحاولات المعاصرين، 2013، صفحة 259)أنَّ قضية تجديد أصول الفقه ومصطلح التجديد في هذا النطاق الأصولي ظهرت عند الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي تم ذكره آنفا في كتابه "**القول السديد في التجديد والتقليد**"المطبوع بمصر سنة(1287هـ)، وكان ذلك في حياه المؤلف وقبل وفاته بثلاث سنوات، وإذا تجاوزنا هذا الكتاب فإن أوّل كتاب حمل عنوان تجديد أصول الفقه هو كتاب السيد محمد باقر الصدر: "**المعالم الجديدة للأصول**" الصّادر عام (1956م)، ثم بعده بعشر سنوات أي في عام (1975م) أصدر

الشيخ محمد جواد مغنية كتابه الموسوم بـ: **"علم أصول الفقه في ثوبه الجديد"**، وبعده بخمس سنوات ألَّف الدّكتور التّرابي سنة (1980م) كتابه: **"تجديد أصول الفقه الإسلامي"**، ثم بعدها توالت التواليف والبحوث والدراسات حول هذا الموضوع ما بين منتصر ومنتقد، ولهذا أسلفت بالذكر أنه من الصعب أن يظفر الباحث بتعريف جامع مانع لهذا المفهوم، وسأحاول في هذا المطلب ذكر أهم التعريفات التي عرف بها هذا المصطلح الجديد الفتي:

- عرفة الأستاذ عمر عبيد حسنة بقوله:(حسنة، 1998، صفحة 20) **"إعادةأصولالفقهإلىحالتهالمنهجيةالطبيعيةالتييستطيعمعهاالاستجابةلمقتضياتالعصرومتطلباتهمنحيثسلامةموازينهومرونةرؤيتهمعاحتفاظهبأصالتهوانضباطه"**.
- وعرَّفه الأستاذ الشيخ مولود السريري بقوله:(السريري، 2016، صفحة 19)**"إزالةمايجبإزالتهأوينبغي،وزيادةماينبغيأنيزداد،وضبطمايجبضبطه،وتوحيدمايجبتوحيده،وتقويمودراسةمايجبأنيُدرس ويقوَّمويوسعفيهالنظر،وغيرذلكممايشبهه ماذُكرهوالتجديدبعينه؛إذلامعنىللتَّجديدإلاهذا"**.
- وعرَّفه الدكتور محمد خالد منصور:(منصور، 2008، صفحة 29)**"إعادةإحياءمباحثعلمأصولالفقهمنالناحيةالشكليةوالموضوعية،تحقيقالمقاصدهذاالعلمفيتسهيلعملالمجتهدفيالاستنباطالشَّرعي،علىنحومتكاملىحققجانبيالنظريةوالتطبيق،ويربطبينمنهجالمتقدِّمينوالمتأخرين،تلبيةلواقعالاجتهادالمعاصر"**.
- وعرَّفه الدكتور الحسَّان شهيد بقوله: (الحسان، 2012، صفحة 38)**"إعادةالنظرفيعلمأصولالفقهابتداءمنتأصيلالأصولحتىتكونقطعيَّة،ومرورابتنخيلهاكيتخلُّصعمليَّة،وتعليلالنَّظربهاحتىتظهرقاصدة،وتكميلنقصهالتصبحوافية،وانتهاءًبتشغيلهاحتىتصيرمفيدة،وتنزيلأحكامهالتبدوعملية"**.

والتَّعريف الأقرب إلى المعنى والمقترحهو (منصور م.، 2021، صفحة 582/2): **"تجديدالأنظاروالأفهاموالاجتهاداتالأصوليةوفقالمقتضياتالشرعية،والمتطلباتالواقعية،وبناءًعلىالأصولالكبرىللخطابالشَّرعي"**.

ومنالجديربالذكرهاهناأنَّهناكفرقاكبيرابينتجديدعلمأصولالفقهوتجديدأصولالفقه،فالتجديدالمرادبههناهوالتجديدفيعلمأصولالفقه؛إذلاجديدفيأصولالفقهلوجودالفرقبينأصولالفقهوعلمأصولالفقه،فأصولالفقههيأدلَّتهالتي انبنعليهاواستمدوجودهمنها،فهيالأصولوالمصادروالقواعدالشرعيةالكبرىالتييُستمدمنهاالفقه،وهومرادفلقولنا:(أصولالأحكام)أو(أصولالشريعة)،وهذاهمنالرّسوخوالثّباتوالعمومواللّزوميمالانزاعفيهولاغبار،وأمَّاعلمأصولالفقههفيرادبهالتخصصالعلميالدراسيالذييشملالقضاياوالمسائلوالتعريفاتوالنظرياتوالآراءوالقواعدالمنهجيةلهذاالعلم،

وكثيرامايتداولويطلقعلىعلمأصولالفقهاختصارا:(أصولالفقه)بحذفكلمة(علم)منبابالاختصاركمايقعفيأسماءأغلبالعلومالأخرى(منصور م.، 2021، الصفحات 582/2-583).

2.1.3 الفرع الثّاني: دواعي التّجديد في أصول علم أصول الفقه.

علم أصول الفقه هو مفتاح الفهم لجميع العلوم الإسلامية، وميزان دقيق لعمليات الاستنباط من النصوص الشَّرعية، فهو من العلوم المعيارية التي تكون ميزانا لما سواها من العلوم، ودواعي تجديد علم أصول الفقه تتلخص في النقاط التالية(منصور م.، 2008، الصفحات 588/2-592):

- **الدّاعي الأوَّل**: أهميَّة علم أصول الفقه قديما وحديثا.

فهو العلم الذي يجمع في دراسته بين الأدلةالنقليةوالأدلةالعقلية، فهو العلم الذي به حفظ الشريعة التي اختارها الله تعالى لتكون آخر الرّسالات، وهو أحد الوسائل الناجعة لحفظ الدين من التحريف والتضليل، فقد صان أدلَّة الشَّرع، وحفظ حجج الأحكام، وعرف النَّاس بمصادر التَّشريع التي يجب الالتزام بها والرجوع إليها، كما بين المصادر الفرعيةوالتبعية التي كانت المجال الرَّحب لاتِّساع الشريعة، وتلبية حاجات الأمَّه فيما يعتري بها من وقائع وأحداث،إلى غير ذلك من الأمور التي تعكس الأهميةالبالغة لهذا العلم، وهذه الأهمية باقية ثابتةمستمرة لا غنى عنها في كل زمان ومكان، لارتباطها بشريعة الله تعالى الخالدةالباقية، ومن هنا تعالت الصيحات الكثيرةلضرورة تجديد هذا العلم.

- **الدَّاعي الثاني**: انحصار الأثر القيادي لعلم أصول الفقه.

فلا يخفى على أحد من المتخصّصين ما أصبح علم أصول الفقه يُعانيه من ضعف وانحصار الأثر العلمي القيادي، في الوقت الذي كان فيه هذا العلم قائدا وضابطا للعلوم الإسلامية الأخرى، وكان قائدا وموجِّها لمنهجيَّة التَّفكير الإسلامي، لكنَّه في الآونةالأخيرة بحسب كثير من الباحثين أصبح في أغلب أمره محض علم تراثيٍّ مستثقل، كثير العناء قليل الإغناء، لا يكاد يدرس إلا بكثير من التبرم وقليل من الاكتراث، وهذا الدور الضعيف لعلم أصول الفقه لا يفيد ولا ينفع مع حال الأمَّة وواقعها الآن، فإنَّ الأمَّة في حاجة ماسَّة لاستخراج أحكام الله تعالى من النَّصوص في كل ما استُجِدَّ من الوقائع، وهذه وظيفة المجتهدين البالغين الذِّروة في تحصيل آلات الاجتهاد.

- **الداعي الثالث**: واقع التدريس وواقع الكتب المؤلفة.

فواقع التدريس لعلم أصول الفقه يمثل إشكالية كبيرة لدى الباحثين في علم أصول الفقه من مدرسين وطلاب، فالمتتبع لكثير من المؤلفات الأصولية-وخاصه كتب الحواشي والشروح- يجد عدم وفائها بحاجة المكلَّفين وخاصة طلاب علم أصول الفقه، فلغتها التي كانت من لوازم عصر التأليف الذي أُلِّفت فيه لم تعد تفيدهم الآن، وكذا افتقار أكثرها إلى الرَّابط بين قضايا الأصول ونصوص الوحي يمنعُ من تدريب الطالب على الاجتهاد، وتمنع المكلف أيضا من فهم مناط الأحكام، وكذا كثره المسائل المنطقيةالصورية، وعرض المسائل الأصولية بصورتها الخلافيةأكسب العلم نزعة جدليَّه، هذا مع توقف نمو العلم والاقتصار على الحواشي والتقريرات، والتي وإن أفادت العقل رياضةإلَّا أنَّها لم تفد العلم نفسه.

2.3 المطلب الثَّاني: معالم التَّجديد الأصولي في طرح إقبال –الاجتهاد أُنموذجا–

ممَّا تقدَّم ذكره وبيانه في المباحث والمطالب السّابقة يتَّضح لنا جليًّا أن محمد إقبال من رواد التَّجديد في الفكر الدّيني في التَّاريخ المعاصر، وأنَّ فكره الإصلاحيَّ والتَّجديديَّ لم يقتصر على ناحية واحدة، ولا زاوية معينة من زوايا الفكر الديني، بل شمل عدّة مناحٍ فكريَّة وأخلاقيَّة وكذا مناحٍ فقهيَّة وتشريعيَّة، وهو ما مرَّ ذكره وتقريره في المطالب والمباحث السَّابقة، وفي هذا المطلب نسلِّط الضَّوء على الطَّرح التَّجديديِّ الذي تقدَّم به إقبال في هذا الجانب من أدبيات الفكر الإسلامي، وهو ما يتعلَّق بالجانب الأصولي ممثلا في أحد أركانه وأعمدته التي ينبني عليها ألا وهو الاجتهاد، الذي يراه إقبال ضرورة من ضروريات الدّين الإسلامي.

1.2.3 الفرعالأول: أهميَّةالاجتهادفيتحقيقالتَّجديد

لقد أدرك محمد إقبال تماما أن الأزمة التي تعانيها الأمَّةالإسلامية فكريا وروحيا نبعت من بُعدها عن روح الإسلام الذي أدَّى فيما بعد إلى التَّخلُّف والجمود والركود، ومن جانب آخر خلال معايشته مع الغرب مُدَّة طويلةأنه شاهد الصورةالمنعكسة، حيث رأى فيها التَّقدُّم والازدهار والنُّمو، هذا الإدراك القائم على مقارنه الحياة بين الشَّرق والغرب جعله يقف على العناصر الإيجابية التي يفتقدها العالم الإسلامي بل والغربي على السَّواء،ومن هنا دعا إقبال الأمَّةالإسلاميةإلى ضرورة الاجتهاد؛ ذلك لأنَّأحوال العالم الإسلامي في نظره قد تغيرت بصورة جذرية في عصره، ممَّا أوجب الحاجة من جديد إلى الاجتهاد(Bin Mujib، 2021، صفحة 184).

2.2.3 الفرع الثَّاني: البواعث الدَّافعة للاجتهاد في نظر إقبال

لقد دعا إقبال الأمَّةالإسلاميةإلى ضرورة الاجتهاد، ذلك لأنَّأحوال العالم الإسلامي في نظره قد تغيرت بصوره جذرية،وممَّا أوجب الحاجة من جديد إلى الاجتهاد،وبواعث هذه الحاجة في نظر إقبال هي:

- **الباعث الأوَّل**: تكريس الاجتهاد لمبدأ الحركيَّة في الإسلام، حيث إنَّ إقبالا عقد فصلا في كتابه وهو الفصل الثَّامن وعنونه بـ"مبدأ الحركة في بناء الإسلام"، حيث بين فيه أنَّ: "**الإسلام كحركة ثقافية يرفض النَّظرة الإستاتيكيَّة القديمة للكون، ويتبنَّى نظرة ديناميكيَّة يتَّسم فيها الكون بالحركة والتغيُّر**"(إقبال، 2011، صفحة 243)، وفي ثنايا هذا الفصل تساءل إقبال عن مبدأ هذه الحركيَّة في بناء الإسلام؟ ليجيب عن هذا التساؤل مباشرة ودون تردّد أنَّ مبدأ الحركة في الإسلام هو الاجتهاد.
- **الباعث الثَّاني**:أنَّ العالم الإسلامي أصبحيتأثر بما يواجهه من قوى جديدةأطلقها من عقالها تطور الفكر الإنساني تطورا عظيما في جميع مناحيه، وهذا ما يستدعي ضرورة فسح المجال إلى الاجتهاد، وفي هذا يقول إقبال رحمه الله بعد أن بيَّن أنَّ النُّظم التَّشريعيَّة التي أوضحها الفقهاء رغم شمولها ما هي إلا تفسيرات وتأويلات فرديَّة، فقال بعدها(إقبال، 2011، صفحة 281): "**وذلك لأنَّ الأحوال قد تغيَّرت، وعالم الإسلام يواجه ويتأثَّر بقوى جديدة، أطلقها التطوُّر المدهش في الفكر الإنساني في كل مناحيه**".

- **الباعث الثَّالث**:أنَّأصحاب المذاهب الفقهيةأنفسهم لم يدَّعُوا أنَّ تفسيرهم للأمور واستنباطهم للأحكامهو آخر كلمة تقال فيها، وأنَّهم لم يزعموا هذا أبدا، وفي هذا يقول رحمه الله واصفا اجتهادات الفقهاء(إقبال، 2011، صفحة 281): **"ولكن هذه النُّظم التشريعيَّة رغم شمولها ليست إلَّا تفسيرات وتأويلات فردية، وهي بوصفها هذا لا يمكن أن تزعم بأنَّها نهائية، واعلم أنَّ عُلماء الإسلام يقولون بتقليد مذاهب الفقه المشهورة باعتبار أنها القول الفصل، ورغم ذلك لم يجدوا أبدا أنَّه في الإمكان إنكار الإمكانيةالنظريَّة للاجتهاد الكامل"**، ثم قال بعد هذا:**"وهل الذين وضعوا مذاهبنا الفقهية قد ادَّعوا أنَّ تعليلاتهم وتفسيراتهم فاصلةونهائية؟أبدا"**، بل بين أن ثراء وتنوع الموروث الفقهي الذي أُثر عن الفقهاء طيلة القرون الأولى من صدر الإسلام، واقسام ذلك الموروث على شكل مدارس فقهيَّة متنوِّعة ليدلُّ دلالة واضحة على مسايرة التطور ومواكبة الحركة الاجتماعيَّة والثقافيَّة في ذلك العصر، وفي ذلك يقول(إقبال، 2011، صفحة 276): **"ممَّا هو جدير بالذكر أنَّه منذ حوالي منتصف القرن الأوَّل الهجريّ حتَّى بداية القرن الرّابع الهجريّ ظهر في الإسلام ما لا يقل عن تسع عشرة مدرسة من مدارس الفقه والرأي الشَّرعيِّ، وهذه الحقيقة وحدها كافية لبيان الجهود المتواصلة التي بدلها فقهاؤنا الأوائل كي يواجهوا احتياجات ومتطلبات حضارة نامية"**.
- **الباعث الرَّابع**:أنَّ ما يُنادي به الجيل الحاضر من أحرار الفكر في الإسلام من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيرا جديدا على ضوء تجاربهم، وعلى هدي ما تقلب في حياة العصر من أحوال متغيرة هو رأي له ما يسوغه كل التسويغ(الميلاد، محمد إقبال وتجديد الفكر الدّيني، 2008، صفحة 73).
- **الباعث الخامس**:أنَّ القرآن حكم على الوجود بأنَّه خلق يزداد ويترقى بالتدريج، وهذا يقتضي أن يكون لكل جيل الحق في أن يهتدي بما ورثه من أسلافه من دون أن يعوقه ذلك التراث في تفكيره وحكمه وحل مشكلاته الخاصة(إقبال، 2011، صفحة 281)، وقد بيَّن قبل هذا الكلام أنَّ القرآن الذي يتبنَّى النَّظرة الديناميكيَّة للكون والوجود لا يمكن أن يكون خصما لفكرة التطوُّر بحال من الأحوال، وفي هذا يقول(إقبال، 2011، صفحة 272): **"على أنَّ الأمر الذي يجب ملاحظته في هذا الصدد هو النظرةالديناميكية للقرآن، وقد أفضت في مناقشةأصل وتاريخ تلك النظرة التي تعتبر الكون متغيرا لا إستاتيكيًّا ثابتا، ومن الواضح أنَّه مع هذه النظرة فإنَّ القرآن لا يمكن أن يكون خصما معاديا لفكرة التَّطوُّر"**.

3.3 الفرع الثالث: معالم التَّجديد في الاجتهاد الأصولي عند إقبال

مما سبق ذكره وبيانه يتبين لنا أنَّ محمد إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني طرح عدة قضايا فكرية وثقافية تتعلق بتجديد التفكير من داخل البيت الفكري الإسلامي، ومن بين النّقاط التي عالجها إقبال في كتابه هذا ما يتعلق بالجانب الأصولي والتشريعي في الفقه الإسلامي، وأنَّ هناك من الجوانب الأصولية التي تدعو إلى التجديد، وقد ركَّز إقبال في هذا الصَّدد على موضوع الاجتهاد، فإنَّ الاجتهاد هو الذي يضمن ويكرِّس مرونةالشريعةالإسلامية وصلاحيَّتها لكل زمان ومكان؛لأنَّه بالاجتهاد يمكن للمجتهدأن يجد

الحلول والأحكام الشرعية لمختلف القضايا والمستجدات التي تطرأ في مختلف الزمان والمكان، فلقد كان الاجتهاد في هذه الشريعةأساس التَّشريع والقضاء والفتوى في العالم الإسلامي كلِّه قريبا من ثلاثة عشر قرنا، دخلت فيها وبسببه مختلف البيئات، وحكمت فيها شتَّى الأجناس، والتقت فيها بعدد من الحضارات، فما ضاق ذرعها بجديد، ولا قعدت عن الوفاء بمطلب، بل كان عندها لكل مشكلة علاج، ولكل حادثة حديث.

ولهذا طرح محمد إقبال موضوع الاجتهاد بعد أن أخذ يتساءل ما الخلل في الفكر الدّيني الإسلامي؟ وما العوامل والأسباب الفكريةوالتاريخية التي أوصلت العالم الإسلامي إلى حالة من الركود والجمود؟وتساءلأخيرا على مبدأالحركة في بناء نظام الاسلام، وهل أنَّ شريعة الإسلام قابله للتطور؟ وبعد البحث عن العوامل والأسباب التي أدَّت بالأمَّه الإسلاميةإلى هذه الحالةالمريرة، توصل إقبال إلى نتيجة بأنَّه لابد للأمَّةالإسلامية من النهوض بمهمة التجديد في التفكير الديني الإسلامي، والاجتهاد هو الخيار الوحيد للإجابة عن التساؤلات السابق ذكرها، وذلك لأنَّأحوال العالم الاسلامي –بحسب نظر إقبال– قد تغيرت بصورة جذرية، ممَّا أوجب الحاجة الماسَّة من جديد إلى الاجتهاد، وفيما يلي نحاول ذكر أبرز المعالم التي توضِّح الرُّؤية التَّجديديَّة لمحمد إقبال في باب الاجتهاد الأصولي، وذلك عبر المعالم الآتية:

- **المعلم الأوَّل: الدعوة إلى الاجتهاد المطلق**

لقد ركَّز إقبال على نوعيَّة الاجتهاد الذي ينشده ويدعو إليه، حيث إنَّه دعا إلى الاجتهاد المطلق الذي عبَّر عنه بالحق الكامل في التَّشريع، ومعناه أنَّ هذا النَّوع من الاجتهاد هو الاجتهاد المفتوح الذي يتمرَّد على الأُطر المذهبيَّة ويتجاوز الحدود الفقهيَّة، ولا يتقيَّد بشيء من هذا، فإقبال يرى أنَّه لكي يُنهض بمهمَّة التَّجديد ويتخلَّص من رواسب الجمود ويُدفع بهذه الأمَّة إلى الأمام فلا بد من الاجتهاد المطلق، وفي هذا يقول(إقبال، 2011، صفحة 248): " **وتقر هذه المدارس الفقهية ثلاث درجات من الاجتهاد:**

- **حقٌّ كامل في التَّشريع، وهو يكاد يكون عمليا مقصورا على أصحاب المذاهب.**
- **حقٌّ نسبيٌّ يُمارس في إطار مذهب معين.**
- **حق خاصٌّ يتعلَّق بتعيين القاعدةالشَّرعية التي تُطبَّق في حالة خاصَّة لم يقرِّرها أصحاب المذاهب.**

ويهمُّني في هذا البحث الاقتصار على الدرجة الأولى من الاجتهاد،وأعني بها الحقَّ الكامل في التَّشريع وقد سمح أهل السنة بهذا النوع من الاجتهاد من ناحية الإمكان النَّظريَّة، ولكنهمأنكروه منذ تمَّ وضع المذاهب الفقهية، وذلك لأنَّ فكرة الاجتهاد الكامل قد أحيطت بشروط يستحيل تحقُّقها في فرد واحد".

وهذا الكلام من محمد إقبال من الصحة والسَّداد بمكان، فالقول بسدِّ باب الاجتهاد بعد منتصف القرن الرَّابع بعد أن أفتى فقهاء المذاهب الأربعةبإقفال باب الاجتهاد؛ ضرب التَّقليد بأطنابه على جنبات أمَّة الإسلام، وسرت فيه روح التَّقليد، ولم يبق من الاجتهاد إلَّا رمق يسير، وهذا العامل هو أخطر العوامل وأفواها التي أدَّت إلى جمود الفقه وأصوله، ولعلَّآثاره تمتدُّ ليشمل دائرة العلوم الدينيَّة كُلِّها، بل والعلوم العقليةوالتجريبية عند المسلمين.

- **المعلم الثَّاني: الاجتهاد الجماعي بدل الاجتهاد الفردي**

إنَّ الاجتهاد الذي ينادي به إقبال هو الاجتهاد الجماعي الذي لا يتحدَّدُ بحدود فكريةأو مذهبيَّة معيَّنة من الفقه، لكنَّه يجمع كل القدرات والمهارات والمعارف دينيًّا وفكريًّا للوصول إلى ما يحقق مصلحة الأمَّةالإسلاميةبمراعاة القواعد والضَّوابط التي يحدِّدها علم أصول الفقه، فعند إقبال أنَّ هذا النَّوع من الاجتهاد هو الذي يمكن بواسطته النُّهوضبالأمَّةالإسلامية من نومها العميق، وبناء الحضارةالإسلامية من جديد للوصول إلى التقدم والرُّقي والازدهار(Bin Mujib، 2021، صفحة 186).

فبحسب نظرةإقبال –وعلى حد تعبيره– فإنَّ انتقال حق الاجتهاد من أفراد يمثِّلون المذاهب إلى مجلس تشريع إسلاميٍّ لهو الشَّكل الوحيد الذي يمكن أن يتخذه الاجتهادوالإجماع في العصر الحديث،وسيكفل هذا الانتقال للمناقشات التشريعيةللاستفادة من آراء خبراء من غير رجال الدِّين ممَّن لهم نظرة ثاقبة في الأمور، وبهذه الطريقة وحدها يمكن أن نبعث القوَّة والنَّشاط في روح الحياةالرَّاكدة لنظامنا التَّشريعيِّ، وأن نُعطيه نظرة تطوُّريَّة(إقبال، 2011، صفحة 289).

كما بين رحمه الله تعالى أن تحوُّل الاجتهاد والإجماع إلى نظام تشريعيٍّ دائم أمر يتعارض –بحسب نظرته وتعبيره– مع المصالح السياسيَّة للحكم الملكي المطلق الذي ظهر في الإسلام بعد الخليفة الرَّابع مباشرة، ويظن إقبال أنَّه كان من المرغوب فيه لدى الخلفاء الأمويِّين والعبَّاسيِّين وتحقيقا لمصالحهم أن يوكلوا الاجتهاد إلى أفراد من الفقهاء بدلا من التوجُّه إلى تشكيل مجلس دائم للاجتهاد، وذلك خشيةأن تُصبح قوَّة المجتهدين فيه أكبر ممَّا يستطيع أصحاب السُّلطان تطويعه،إلا أنَّه أبدى رضاه التَّام على أنَّ الضَّغط القوي للقوى العالميةالجديدة،والتجربةالسياسيَّة للشعوب الأوروبية قد أثَّرت على عقليَّة المسلمين في العصر الحديث،وذلك بتأكيدهاعلى قيمة وإمكانيَّة فكرة الاجتهاد الجماعيِّ، ولا شكَّأن نمو الرُّوح الجمهورية والتكوين التَّدريجي للمجالس التشريعية في البلاد الإسلامية؛ يشكل خطوة هائلة في طريق التقدم(إقبال، 2011، صفحة 290).

- **المعلم الثَّالث: الدَّعوة إلى ضرورة إشراك العلوم الأخرى في الاجتهاد**

يرى إقبال أنَّ عمليه الاجتهاد لابد ان تواكب كل المستجدات والمتغيرات التي يمر بها العالم الإسلامي بل والعالم كله، وعليه فالواجب على المجتهد في عملية الاجتهاد الجماعي أن يتسلح بالعلم والمعرفة، وأن يرافق التطور التكنولوجي المتسارع في عالم اليوم.

فمن أهم ما ينبغي مراعاته في باب الاجتهاد –وخاصه في النوازل المعاصرة– هو ضرورةإشراك أهل الخبرة والتخصص، واعتماد آرائهم في توصيف النازلة قيد البحث والدراسة، وخاصة في تلكم المسائل التي تحوي طابعا مشتركا بين الجانب الشرعي والجوانب الاخرى، كونية كانت أو انسانية، سواء في جانب المسائل الطبيَّة،أو الاجتماعية، وحتى القانونيةوالإدارية التي يبحث الناس عن الحكم الشرعي فيها، والتي كثرت وتشابكت حتى أضحى الفقيه والمجتهد –مهما بلغ شأوا في العلم والفهم– فإنَّه لا يستطيع الاستقلال في النَّظر في هذه المسائل، دون استشارةأهل التّخصُّص في العلوم

التي لها سبب وثيق بالنازلة، وهذا الضابط من الأهمية بمكان، وهو يندرج ضمن فقه الواقع وتحقيق المناطق المراد تنزيل الحكم عليه، واعتماد رأي الخبير وأثره في توصيف النازلة يندرج تحت سؤال أهل الذكر المأمور به في قوله سبحانه وتعالى: چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ چالنحل: ٤٣، كما أنَّأخذ رأي الخبراء سنةمتَّبعة في التاريخ الاسلامي.

ولهذا فإنَّإقبالا يرى بضرورةإشراك أهل التخصصات من العلوم الأخرى والفنون المختلفة في المجالس التشريعيةالإسلامية، والتي مرَّ الكلام عليها أنَّها من معالم التَّجديد في نظرته، وبهذا الإشراك يمكن أن نضفي على النظام التشريعي حركيَّة ومواكبة للعصر بسبب الاستفادة من الخبرات المختلفة، وفي هذا يقول إقبال رحمه الله(إقبال، 2011، صفحة 290):"**إنَّ انتقال حقِّ الاجتهاد من أفراد يُمثلون المذاهب إلى مجلس تشريعي إسلامي لهوالشَّكل الوحيد الذي يمكن أن يتخذه الإجماع في العصر الحديث، فسيكفل هذا الانتقال للمناقشات التشريعيةالاستفادة من آراء خبراء من غير رجال الدين، ممَّن لهم نظرة ثاقبة في الأمور، وبهذه الطريقة وحدها يمكننا أن نبعث القوَّة والنَّشاط في روح الحياة الرَّاكدة لنظامنا التَّشريعي، وأن نعطيه نظرة تطوُّريَّة**".

هذه هي أبرز معالم التأملات والأفكار والسياقات التي تعبر عن رؤية وفلسفةإقبال في تجديد الأسس الفكريَّةوالفلسفية للتفكير الديني في الإسلام، ويمكن أن نلخِّصها في النقاط التالية:

1) الدَّعوةإلى الاجتهاد المطلق وفتح بابه، على عكس ما نادى به كثير من الفقهاء الأوائل من غلق باب الاجتهاد وتكريس ثقافة التَّقليد.
2) الدَّعوة إلى الاجتهاد الجماعي بدلا من الاجتهاد الفردي.
3) اتباع آليات ووسائل المنهج العلمي في الاجتهاد،وتأصيل القضايا المعاصرة والمسائل الجديدة والنوازل الطارئة تأصيلا جديدا يتماشى ومقتضيات العصر.

الجرأة في طرح آرائهالاجتهادية وإن كان مخالفا للإجماع فضلا عن المشهور.

خاتمة:

فبعد هذا العرض الذي سبق ذكره وبيانه؛ فإنّي أذكر ما توصّلت إليه في هذا البحث من نتائج فيما يلي:

1) أنَّ محمد إقبال رحمه الله تعالى له مسار علمي تكويني جدُّ قوي، حيث إنَّه تكوَّن في كبرى الكليات والمعاهد في الجامعات الأوروبيَّة.

2) يُعدُّ محمد إقبال رائدا من رواد تجديد التفكير الدّيني في التَّاريخ المعاصر.

3) أنَّ محمد إقبال رحمه الله كانت له دوافع كثير دفعت به إلى رفع وحمل لواء التَّجديد في هذا العصر، وهذه الدوافع منها ما هي دوافع ذاتية وشخصيَّة، ومنها دوافع موضوعيَّة وحضاريَّة.

4) أنَّ الدَّعوة التَّجديديَّة عند محمد إقبال شملت عدَّة نواح مختلفة، حيث شملت الجانب الاعتقادي، وكذا الجانب السلوكي والأخلاقي، وأيضا الجانب التشريعي والأصولي.

5) أنَّ محمد إقبال يعتبر الاجتهاد الأصولي هو المحرك الذي يدفع بالتَّفكير الإسلامي إلى الأمام.

6) أنَّ تجديد أصول الفقه من أعظموأبرز الصيحات التجديدية التي نادى بها أصحابها في هذا العصر الحديث.

7) أنَّمحمد إقبال يرى أنَّ الاجتهاد الأصوليَّ هو بوابة التَّجديد في الفقه وأصوله.

8) أنَّ محمد إقبال دعا إلى فتح باب الاجتهاد المطلق ونبذ التقليد المذهبي والجمود على آراء الفقهاء المتقدمين.

9) دعا محمد إقبال إلى ضرورة الاجتهاد الجماعي بدل الاجتهاد الفردي.

10) أنَّ محمد إقبال دعا إلى ضرورةإشراك العلوم الأخرى في عملية الاجتهاد الفقهي.

وفي الختام فإنَّا نسأل الله تعالى أن يُوفِّقنا لما يُحبُّه ويرضاه، ونسأله تعالى أن يجعل ما كتبناه وخططناه في هذه الورقات خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون من العلم النَّافع، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

I. Bin Mujib, L. (2021, جويلية 2). الاجتهاد ودوره في فهم الواقع عند محمد إقبال. *Indonesian Journal of multidisciplinary Islamic Studies*, p. 7.

II. إقبال جاويد. (2005). *النهر الخالد*. (ظهور أحمد أظهر، المترجمون) القاهرة: المجلي الأعلى للثقافة.

III. إقبال، م .(2011) .*تجديد الفكر الديني في الإسلام*) .م. عدس (.Trad ,بيروت: دار الكتاب اللبناني.

IV. الأزهري، ص ,2021) .نوفمبر .(محمد إقبال وموقفه من تجديد التَّفكير الديني في الإسلام .*مجلة لسانيات اللغة العربية وآدابها*.43 .p , .

V. الحسان، ش .(2012) .*نظرية التجديد الأصولي من الإشكال إلى التّحرير*.بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.

VI. السريري، م .(2016) .*تجديد علم أصول القه*.بيروت: دار الكتب العلمية.

VII. الطهطاوي، ر .(2010) .*تخليص الإبريز في تاريخ باريز*.القاهرة: مؤسسة هنداوي.

VIII. الميلاد، ز .(2013) .*تجديد أصول الفقه دراسة تحليلية نقدية لمحاولات المعاصرين*.بيروت: المركز الثقافي العربي.

IX. حسنة، ع .(1998) .*الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية*.بيروت: المكتب الإسلامي.

X. زكي الميلاد. (2008). *محمد إقبال وتجديد الفكر الدّيني*. بيروت: مركز الحضارة اتنمية الفكر الإسلامي.

XI. عزام، ع .(2014) .*محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره*.القاهرة: مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة.

XII. منصور، م .(2008) .*تجديد أصول الفقه ومعالمه عند ابن تيمية*.عمَّان: الدار الأثرية.

XIII. منصور، م ,2021) .مارس 20 .(التجديد في علم أصول الفقه (حقيقته ودواعيه وضوابطه .(*المؤتمر العلمي الأول تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة*.2/582 .p ,